اللوحات الجدارية الفلكية بمقابر الدولة الحديثة في مصر القديمة

Ancient Egyptian Astronomical murals in the tombs of the new kingdom

ا.د/ محمد نبيل مصطفى حسن بدوي
استاذ بقسم تاريخ الفن بكلية الفنون الجميلة جامعة حلوان
Prof. Mohamed Nabil Mostafa Badawy
Professor Department of Art History - Faculty of Fine Arts, Helwan University
Badawy1942@gmail.com
الباحثة/ بسمة محمد نصر الأسمر
بكالوريوس فنون جميلة، جامعة حلوان.
أخصائي فنون تشكيلية بالهيئة العامة لقصور الثقافة.
Researcher. Basma Mohamed Nasr Elasmer.
Bachelor of Fine Arts, Helwan University.
Visual Artist at General Organization of Cultural Palaces
bnasr84@gmail.com

الملخص:

تبدأ الدولة الحديثة بتأسيس الملك أحمس الأول للأسرة ١٨ سنة ١٥٤٠ ق.م، والتي كانت بداية لإعادة إحياء تراث مصر القديم، وظهور نمط جديد في تصميم المقابر، حيث فصلت القبور عن المعابد الجنائزية، وحفرت في صخور البر الغربي في وادي الملوك، ووصلنا العديد من نماذج اللوحات الجدارية من تلك المقابر، بالإضافة لمقابر النبلاء، كما شاع فن التصوير بدلاً من النحت لسهولته، وشملت تلك التصاوير مشاهد جنائزية تصف رحلة الكيانات المقدسة في السماء، وخرائط فلكية لتحديد الوقت عن طريق حركة النجوم.

عرفت الفنون المصرية القديمة طوال تاريخها بتقاليدها المقدسة، التي تعبر عن مفاهيم كونية، ولذا إعتبر الخروج عن تلك التقاليد بمثابة تدمير للنظام الكوني، فكانت أية محاولة لتغييرها تقابل بالإعتراض من جهة الكهنة، كما حدث زمن إخناتون عندما ظهر اسلوب جديد في الفن بعد أن جعل التقديس فقط لآتون رمز الشمس، فأصبح هو العنصر الوحيد الذي يؤثر في كل شئ فهو العالم بعناصره، وهو مصدر النيل والقوى اللازمة للحياة, فظهر آتون كعنصر أساسي في لوحات تلك الفترة.

إنتهت فترة إخناتون ليبدأ بعد ذلك عصر الرعامسة، والإعلاء من مكانة آمون كإله خالق، وإستعادة أساليب الفن القديمة، بما يحمله من حفظ لدور وأهمية الكيانات المقدسة التي كانت رموزاً لأجرام أو مظاهر كونية. وبذلك كانت عقيدة المصري القديم بما تحمله من تقديس للمظاهر الكونية، هي الأساس في تشكيل سمات فنه. وفيما يخص فن التصوير الجداري في مقابر الدولة الحديثة القريبة من الأقصر، نجد العديد من خرائط السماء، والتصاوير الجنائزية المرتبطة بحركة الكيانات المقدسة في السماء، والعالم الآخر، بداية من أقدم لوحة جدارية حفظت من الحضارة المصرية، تمثل خريطة للسماء، والموجودة على سقف مقبرة سننموت مستشار الملكة حتشبسوت.

الكلمات المفتاحية:

الجبار، الشعرى اليمانية، الكلبية الكبرى، أيام النسئ، الكسوف، الإعتدالين، الإنقلاب الشمسي، الخسوف.

Summary:

The new kingdom began when king Ahmose I found the dynasty 18 at 1540 B.C. Which was beginning of the revival of the ancient Egyptian heritage, And a new style tomb's designing, When it separated from the funerary temples, And was dug in the rock of western bank in valley of the kings. This tombs near Luxor in addition the tombs of nobles, Preserved many astronomical diagrams, to describe the journey of the celestial bodies cycles, and time keeping through using the stars movement.

It's known that Ancient Egyptian's arts have sacred traditions, Reflect Cosmic concepts, Because that, Changing this traditions was meaning destroying the cosmic order. So it was a shocked to the priests at the time of Akhenaten, When he made changes in the religion and so the arts, Because he made reverence only to the sun god Aten, The only element that effects everything, The main source of the Nile, And forces necessary for life. In hence it was the main art figure at that time.

After Akhenaten's time, The Ramesside's period starts its restoration of the traditional arts, That was sacred through all the ancient Egyptian time, And reflect the role of the sacred deities, That were considered as a symbols of an astronomical phenomena. So this Ancient Egyptian's beliefs based on the reverence of cosmic manifestations formed the style of arts, And regarding the murals of the new kingdom's tombs, There are many models of astronomy diagrams starting with those on the ceiling of Senenmut's tmob.

keywords:

Orion, Sirius, Canis major, Epagomenal days, Equinoxes, Solstice, Eclipse.

مشكلة البحث:

شملت مشكلة البحث النقاط التالية:

١) تضمن المشاهد الجنائزية المعبرة عن العقيدة لمعانٍ أخرى مرتبطة بالفلك

٢) الدلالات الفلكية المرتبطة بتعدد الرموز المعبرة عن مظاهر هيمنة رع في العقيدة

٣) الرموز التي وظفها المصري القديم للتعبير عن الظواهر التي يخشى أثرها على النظام الكوني

٤) تأثير العقيدة المرتبطة بالكون على الرموز المصرية القديمة

أهداف البحث:

١) التعرف على مرونة الرموز المصرية القديمة لتوظيفها في التعبير عن دلالات مختلفة ترتبط بالعقيدة والفلك معاً.

٢) توضيح علاقة الرموز المختلفة المرتبطة بالشمس ودوراتها المختلفة، اليومية والسنوية.

٣) معرفة كيف صاغ المصري القديم الظواهر الكونية بما لها من آثار سلبية وإيجابية.

منهج البحث:

تتبع الدراسة المنهج التحليلي، الوصفي، وعرض بعض الرموز ذات الدلالات الفلكية من مقابر الأقصر خلال عصر الدولة الحديثة، بداية من الأسرة الثامنة عشرة حتى الأسرة العشرين. (١٥٤٠- ١٠٧٠ ق.م)

أهمية البحث:

١) معرفة كيف صاغ المصري القديم الأشكال المحيطة في بيئته لتوظيفها في وصف معتقداته ومعارفه.

٢) توضيح أن الكم المتنوع من الرموز يظهر مدى دقة المصري القديم في ملاحظة تفاصيل الظواهر الكونية، وأن هذا التنوع كان لوصف الظواهر التي رصدها خلال مواقيت مختلفة.

٣) معرفة كيف ربط المصريون القدماء بين علومهم ومعتقداتهم، كوحدة متكاملة من خلال فنونهم.

المقدمة:

كانت الكيانات المقدسة المصرية القديمة، صوراً كونية، فقد رصد المصري القديم الفلك وآمن بتأثيره على أرضه، فجسد الأجرام والظواهر الكونية في هيئة معبودات، وقدس أرضه التي إعتبرها صورة للسماء. وإعتقد أن إختلاف المواقيت وحركة الكيانات المقدسة يسبب تأثيرات سلبية، ولتجنبها كان عليه تقديم الطقوس للكيانات المقدسة لتعود إلى شكلها الإيجابي، ويتجنب الفوضى، ويعود الكون إلى نظامه (٥/ ص ٢٢٣، ٢٣٢). وربط علماء الآثار بين شكل مجرة درب التبانة، وبين تصوير المصري القديم للقبة السماوية كجسد أنثوي ينحني لتلامس أطرافه أركان الأرض، وتنتقل خلاله الكيانات المقدسة في مراكب كما يفعل هو في نهره الأرضي (١٨/ ص ٣،٢). كما ربطوا بين تقسيم مصر إلى أقاليم، وبين توافق ذلك مع حركة المجموعات النجمية، وشكل الشعارات الخاصة بالأقاليم (١٢/ ص٣).

وكان للشمس والنيل كعنصرين طبيعيين التأثير الأكبر على تكوين الحضارة المصرية، فظهر في العقيدة رع رمز الشمس، وأوزير رمز الفيضان والخضرة ومثل مجموعة الجبار النجمية. ورغم ماكان لأوزير من مكانة، إلا أن رع رمز الشمس كان له الهيمنة الأكبر في العقيدة المصرية القديمة، وإعتبرت الشمس هي مصدر التجدد لكل عناصر الحياة، ومع أن أوزير رمز للفيضان والإنبات إلا أنه أيضاً كان رمزاً للموت والعالم السفلي، وكان يحتاج، إلى معونة رع الذي يصل إلى عالم أوزير السفلي فيحص أوزير على التجدد. (٢/ ص٤٣، ١٢٧، ١٢٨).

كان التجدد من أهم مايشغل المصري القديم لضمان إستمرار الحياة، ولذا كان لتوقيت الفيضان أهمية كبيرة أثرت في حضارته، وكان له علامة تظهر في السماء، وهي شروق نجم الشعرى اليمانية (سوبدت) بالمصرية القديمة، وجسدها في هيئة إيزة في الخرائط الفلكية، وكان لها دور في تحديد بداية العام الجديد. (١٠/ ص٥٧).

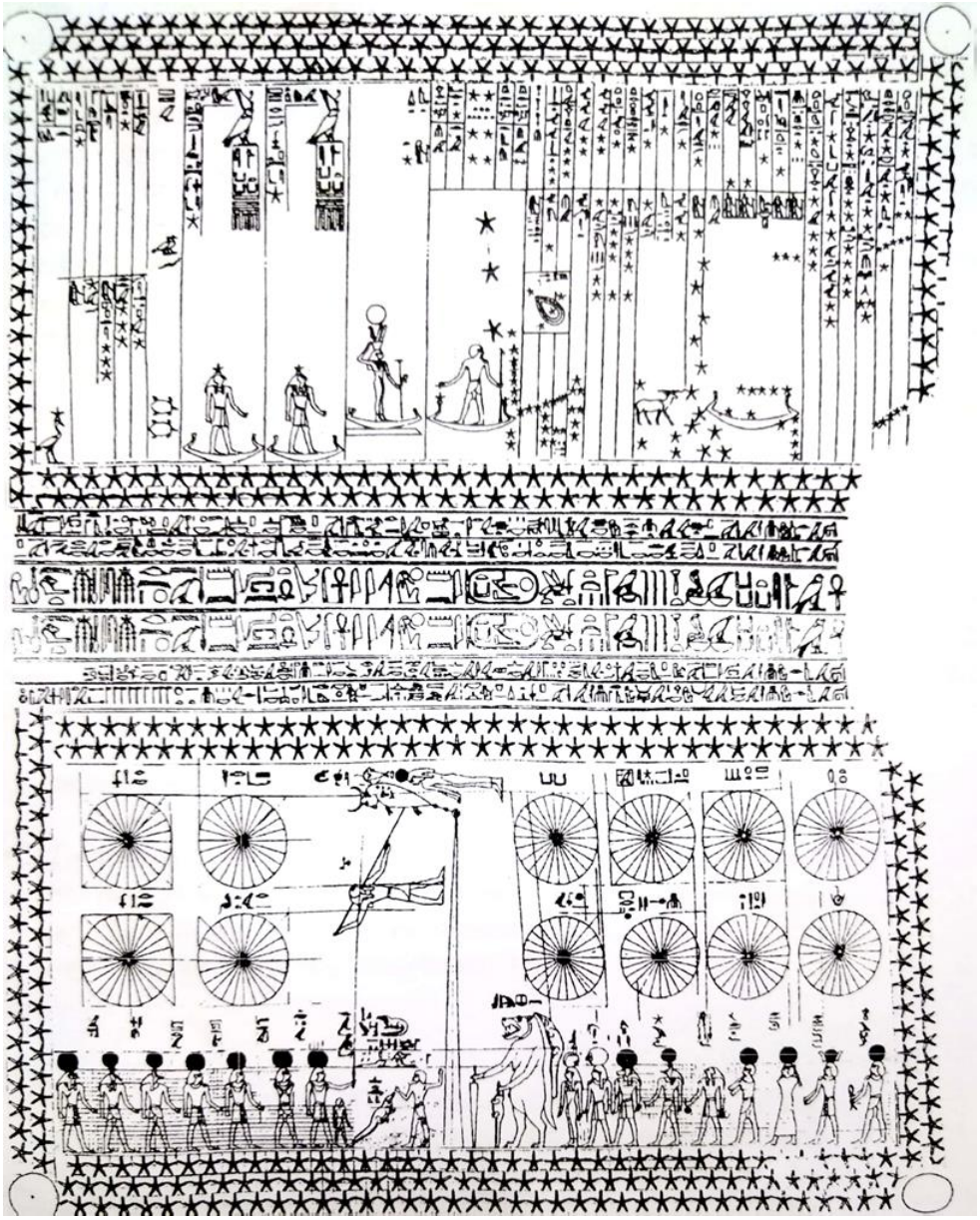

(صورة١): الخريطة الفلكية من سقف مقبرة سننموت. الأسرة ١٨. الدير البحري.

يصور الجزء العلوي من الخريطة، الجزء الجنوبي من السماء وسجلت في أعمدة رأسية: المجموعات النجمية التي كانت تستخدم في تحديد الوقت، وحساب أيام النسئ، وأربعة كواكب وهي التي ترى بالعين المجردة. بينما صورت في الجزء الأسفل من الخريطة: المجموعات النجمية الشمالية، كما رسمت ١٢ دائرة تمثل التقويم المدني، وآلهة خاصة بالأيام القمرية وهي التي تصطف حاملة قرصاً فوق رأسها (١٥/ ص١٦٨).

وفي الخريطة الفلكية تظهر بعض المعبودات المصرية كتجسيد لمجموعات نجمية، ولكنها مقترنة بأسماء تختلف عن أسمائها المعتادة المعروفة بها، مثل المعبودات: سوبك وتاورت وحور وأوزير وإيزة. فمثلاً يعتقد أن تاورت ربة الولادة هي التي تجسد المجموعة النجمية الشمالية المقترنة بإسم إيزة دجامت *3s.t-ḏ3m.t* (١٢/ ص ٣٩)، أما المعبود سوبك فإقترن بالمجموعة النجمية *ḥtp-rd.wj*، بينما إقترن المعبود حور المرسوم في وضع مصوب الرمح بالمجموعة *n.w*ʿ، ومن أهم المجموعات التي كان لها وضع مميز ضمن المجموعات النجمية الشمالية، تلك التي ترمز لشكل الثور أو رأسه وتسمى

مسختيو *msḫt.jw* وكانت تمثل بشكل فخذ الثور على السطح الداخلي لتوابيت الدولة الوسطى، بينما جسد المعبودين أوزير وإيزة مجموعتين نجميتين من الجزء الخاص بالسماء الجنوبية وهما ساح *sȝḥ* وسوبدت *spd.t* (١٦/ ص ١٥٢، ١٥٥، ١٥٩، ١٦٥).

رمزت إيزة للشعرى اليمانية وسميت (سوبدت)، وكان شروقها بعد فترة غياب ٧٠ يوماً، بمثابة إعلان على إقتراب الفيضان. بينما رمز أوزير في شكل رجل يخطو خطوة واسعة وينظر خلفه، لمجموعة الجبار النجمية وسمي (ساح) (١٦/ ص١٥٠- ١٥٢) وكان رمزاً للنبات والفيضان وإعادة التجدد، وموسم جني العنب (٥/ ص٢٢٨).

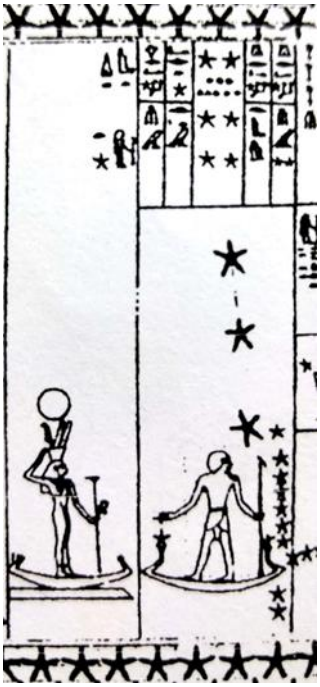

صورة ٢): تفصيل من سقف) مقبرة سننموت، يوضح المجموعتين النجميتين (الجبار والشعرى اليمانية).

وكان تجدد أوزير في حاجة دائمة لمعونة رع وضوئه كل ليلة، وهنا يربط المصري القديم ليعبر عن التجدد الدائم بين علاقة أوزير رب العالم السفلي بالموت ثم إعادة الإحياء والإنبات، وبين شروق الشمس كل نهار بعد غروبها في العالم الآخر، فالتجدد والبعث يلزمه موت وتحلل أولاً، فيصبح أوزير الميت الذي يرقد في أعماق العالم السفلي، في حاجة لمساعدة رع رب الشمس في رحلته الليلية. وبذلك أدى التوفيق بين المتناقضات إلى التوحيد بين رع وأوزير، أو رب الشمس السماوي، ورب العالم السفلي. فيهبط رع في هيئته الليلية برأس الكبش على مركبه إلى حيث يرقد أوزير (الذي يمثل هنا مومياء لرع نفسه)، فيضيؤه، ويوقظه.

ويبين جزء من تصوير جداري بمقبرة رمسيس السادس، شكل لأوزير في شكل مومياء _الذي يحمل رمزية للشمس، والفرعون الميت نفسه_ يحيط به نصف دائرة من أقراص الشمس والنجوم، ويقطع القوس في المنتصف فوق المومياء، قرص كبير برأس صقر، كرمز لشمس النهار التي يخرج منها شعاع إلى المومياء، لتبعث فيها الحياة. وعلى جانبي المشهد زوجين لأوزير، بينما يظهر التكوين أن هذا الحدث يقع في الأعماق تحت (آكر) الذي يجسد كشريط من الأرض ينتهي من الطرفين بشكلين متدابرين لجسد أسد برأس بشري. (١١/ ص١٥٧- ١٦٦)

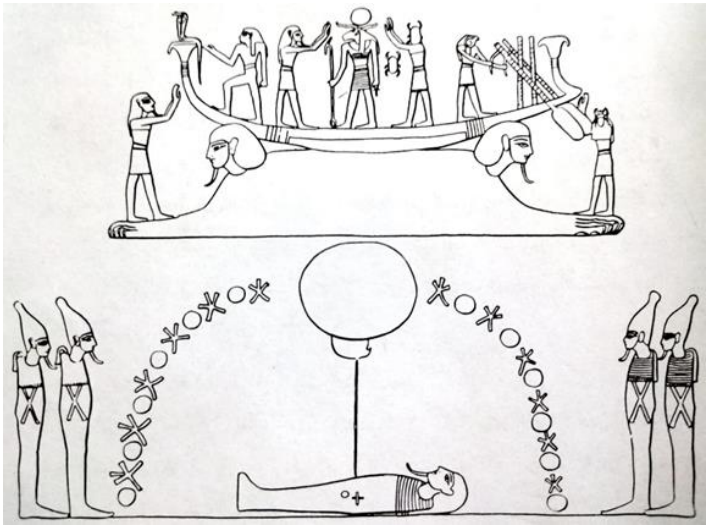

(صورة ٣): رب الشمس يصل للعالم السفلي ليضئ مومياء أوزير. من الحائط الأيمن بغرفة التابوت الحجري بمقبرة رمسيس السادس، الأسرة ٢٠,القرن ١٢ق.م.

بالإضافة لهيئة رع الليلية التي رمز لها بشكل بشري برأس كبش كما في المثال السابق، فهناك رموز أخرى ترتبط بالشمس ودورتها اليومية، ففي مرحلة الشروق تصور الشمس بهيئة الجعران خبري الذي يرمز في الفن المصري للتجدد والميلاد، ثم يصبح رع في شكل قرص دائري في الظهيرة، وفي المساء يصبح آتوم بهيئة كبش ليمثل الشمس الغاربة (١٤/ ص٢٩).

(صورة ٤): قرص الشمس يحمل رمزي الصبح والمساء (خبري وآتوم).

من مدخل مقبرة رمسيس الثالث في وادي الملوك. الأسرة ٢٠، الدولة الحديثة.

وصورت الدورة اليومية للشمس في السماء، على أسقف المقابر، كأقراص دائرية حمراء، تنتقل على جسد ربة السماء نوت، التي تنحني بجسدها لتلامس أطرافها أركان الأرض الأربعة، فكان رع رب الشمس يمثل إبنها الذي تبتلعه كل ليلة في الغروب لتلده عند الفجر (١٠/ ص ٣٥،٣٦).

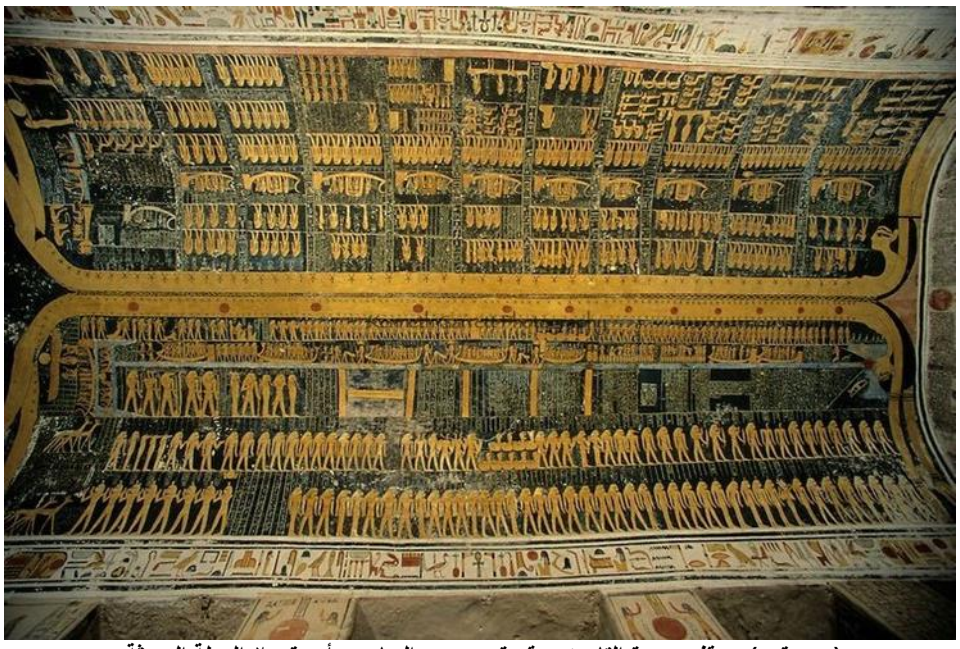

(صورة ٥): سقف حجرة التابوت بمقبرة رمسيس السادس. أسرة ٢٠ الدولة الحديثة.

تجسيد نوت كامرأة تنحني بجسدها لتشكل قبة السماء التي تمتد من الشرق للغرب، في هيئة مزدوجة لتمثل قبة السماء في النهار والليل.

كما يعتقد العلماء أن تصوير رحلة رع على جسد نوت يعبر عن ظاهرة سنوية خاصة بالشمس، وهي ظاهرة تحدث من فترة الإعتدال الربيعي في مارس، وحتى الإنقلاب الشمسي الشتوي في ديسمبر. وكدلالة تشكيلية على مدة هذه الفترة، مثل المكان الذي يعبره قرص الشمس في هذه الفترة بجسد نوت لتكون بمثابة أم حامية له، فالمدة من مارس إلى ديسمبر تساوي ٩ أشهر كفترة الحمل، وفي وقت الإعتدال الربيعي في مارس، تغرب الشمس قريبة من الجزء في درب التبانة الذي يمثل برأس نوت ناحية الغرب قرب الجوزاء، فتكون كأن نوت قد إبتلعتها، وتستمر حركتها، ولمدة تسعة أشهر يكون موقع الشمس في رحم نوت، حتى تصل بعد إنتهاء مدة الحمل إلى مكان المجموعة النجمية التي تعرف اليوم بـالدجاجة، وهو نفس المكان الذي ينفصل فيه درب التبانة مكوناً ما يشبه الساقين ناحية الشرق، وعند شروق الشمس تكون قد خرجت من رحم نوت معلنة عن وقت الإنقلاب الشمسي الشتوي في ديسمبر، أما بالنسبة لحركة النجوم على جسد نوت فنجد النص ٦٩ من كتاب الموتى يصف علاقة مجموعة الجبار بدرب التبانة من خلال وصف حركة أوزير في جسد أمه نوت (١٨/ ص١- ٤).

يقول النص: "أنا أوزير... النجم العظيم، الذي يدخل على الأرضين مصر، متلألئاً بين نجوم السماء اللامعة داخل جسد أمه نوت" (٨/ ص ٢٢٩).

ثم هناك دورة أخرى، وهي الفترة التي تستغرقها الشمس لتمر بنقطة تمثل أحد أبراج السماء الواقعة على خط مسارها، فمثلاً تعبر الشمس مجموعة الأسد، إحدى المجموعات النجمية الشمالية، من بداية أغسطس، وحتى منتصف سبتمبر، وترى هذه المجموعة النجمية في ليالي الربيع. ورسم المصريون القدماء هذه المجموعة في شكل أسد رابض، كما جعلت ألمع نجوم المجموعة تقع عند كتف الأسد (٦/ ص١٩٤، ٢٧٦).

ويدعم عدد من الباحثين أن الأسد المصور في الخرائط الفلكية بين تمساحين، هو برج الأسد ويلاحظ أن هذا الأسد يصور في بعض النماذج وبجانبه طائر، مثل مقبرة سيتي الأول (١٥/ ص١٦٦).

(صورة ٦): شكل الأسد ضمن المجموعات النجمية الشمالية من مقبرة سيتي الأول. الدولة الحديثة.

أما في فترة الإنقلاب الصيفي حيث يسجل النهار أطول فترة في مقابل فترة الليل، في ٢١ من شهر يونية، في هذا التوقيت يسجل مقياس النيل في أسوان إرتفاعاً بسيطاً للنيل، حينها يكون المصريون في إنتظار وصول الفيضان بعد ثلاثة أسابيع إلى منف، ثم يبدأ الفيضان في الإندفاع بقوة تزامناً مع شروق سوبدت مابين ١٨ _ ٢٠ من شهر يوليو ويستمر حتى أكتوبر (١٠/ ص٨١، ٩٦، ١٢٦).

ولأن السنة يتم إحتسابها في التقويم المدني الشمسي ٣٦٥يوم فقط، ولا يتم حساب الربع يوم، فبالتالي تشرق الشعرى اليمانية كل ٤سنوات بعد ٣٦٦ يوم، فينتج عن ذلك تراجع السنة المدنية أمام الشعرية، ومن ثم يحدث التوافق بين بداية الشهر الأول من العام، مع شروق الشعرى اليمانية خلال دورة تقدر بـ١٤٦٠ سنة، تسمى الدورة السوثية أو العام العظيم لرع. وترمز دورة حياة طائر بنو المقدس لهذه الدورة. هذا الطائر قدس في أون وكان أحد رموز الشمس، وإشتق اسمه من كلمة (وبن) بمعنى يشرق، حيث إستخدم للتعبير عن شروق النجوم، كما إرتبط بحجر بن بن الهرمي المقدس في أون (١٩ / ص ٦).

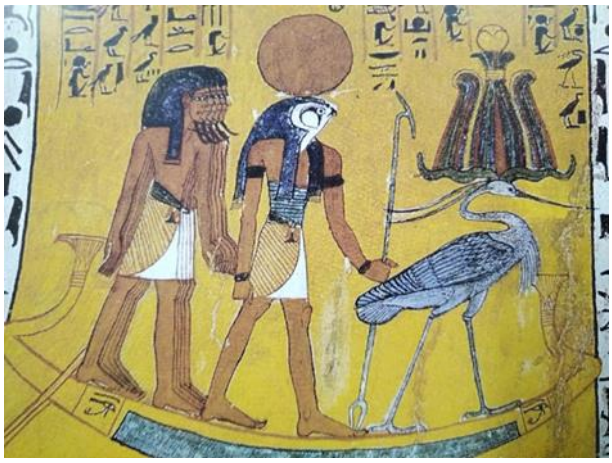

(صورة ٧): طائر بنو رمز الشمس المشرقة والخلود. مقبرة سندجم، الأسرة ١٩، دير المدينة.

واحتسب المصري القديم ضمن التقويم، أيام النسئ الخمسة، وأطلق عليها (الخمسة الذين فوق العالم)، إلا أنه كان يخشى تلك الفترة من العام، وإقام فيها الإحتفالات والذبائح ليتجنب ما قد ينتج عنها من فوضى، وليعود الكون إلى توازنه، ففي تلك الفترة يشتد جفاف الأرض وتتشقق مسببة خروج الزواحف والحشرات المسببة للأمراض، ثم تنتهي ببداية الفيضان في بداية العام الجديد حاملاً معه الخير وتجدد الحياة (٤/ ص ١٦٩، ١٧١). ورمز لأيام النسئ بسخمت ربة القوة والتدمير فهي إبنة رع الحامية له ضد أعدائه. وفي أسطورة صعود رع للسماء وعقاب البشر. كان رع قد أرسلها لعقاب البشر الذين تمردوا عليه بعد أن أصيب بالوهن، فتجسدت في هيئة سخمت القادرة، وكادت تفني البشر لولا تدخل رع بتهدئتها وتحويلها إلى شكل أكثر وداعة فتمثلت في هيئة القطة باستت (١٤/ ص٩٧).

(صورة ٨): سخمت في هيئة لبؤة على رأسها قرص الشمس محاطاً به ثعبان أورايوس.
مقبرة منتحربشيف أحد أبناء الملك رمسيس التاسع. الأسرة ١٩، وادي الملوك.

بالإضافة لأيام النسئ، كان هناك ظاهرة أخرى يخشى المصري القديم حدوثها وهي (ألا تشرق الشمس في الصباح) فصور المصري القديم رحلة الشمس قبل الشروق ورمز لعدو رع بثعبان أبو فيس الذي يظهر له كل ليلة مهدداً شروقه، ولكن يتغلب القط ميو على رمز الشر عابب عن طريق تقطيع جسده بالسكين، فتشرق الشمس من جديد وتشق ظلام الكون (١٤، ص٩٤).

(صورة ٩): التغلب على الثعبان عابب عدو رع.
مقبرة إن حر خعو، دير المدينة. الأسرة ٢٠، الدولة الحديثة.

كان هناك تهديد آخر للشمس، وهو ظاهرة الكسوف، فكان إختفاء الشمس وظهور النجوم في غير وقتها يشكل حدثاً مرعباً للمصريين القدماء، ربما لأن ذلك كان يعني تهديد النظام الكوني وسير الأجرام في قبة السماء، بالإضافة كون الشمس يستدل بها الكهنة على مواعيد طقوسهم، ورغم أن الكسوف يحدث بسبب أن القمر يحجب ضوء الشمس، إلا أن جحوتي رب القمر هو من يطبب عين الشمس بأصابعه، ففي أسطورة صراع ست مع حور قام ست بجرح عين حور في دلالة رمزية على ظاهرة الكسوف، وهنا يأتي دور رب القمر جحوتي الذي يطبب العين ويعيدها لوضعها.

وفي مشهد من مقبرة مري رع رئيس كهنة آتون في تل العمارنة، يصور إخناتون وزوجته يرفعان ذراعيهما لقرص الشمس آتون، بينما شكلت مجموعة أقواس تفصل بين قرص الشمس، وبين أشعتها، كان يفترض من بعض علماء الآثار أنها مجموعة سحب تحجب الشمس، ولكن هناك تفسير آخر بأنها تصور لحظة كسوف الشمس، خاصة أن تلك الأقواس تشبه العقود المزينة بالأحجار الكريمة التي يرتديها الملوك، وقد تكون دلالة على الأقواس المضيئة التي تظهر أثناء حدوث ظاهرة الكسوف. ويعتقد أن هذا الكسوف المصور في مقبرة مري رع قد حدث سنة ١٣٣٨ ق.م. أثناء حكم إخناتون. وكان قد سبقه كسوف آخر حدث سنة ١٣٧٥ ق.م والذي يرى العلماء أنه قد يكون أحد العوامل االمؤثرة في فكر إخناتون. (١٣/ ص١٠، ١٤_ ١٦).

(صورة ١٠): كسوف الشمس من مقبرة مري رع.
عصر العمارنة من الدولة الحديثة. تل العمارنة بالمنيا.

وبذلك كان الحفاظ على التوازن الكوني وحركة الأجرام المنتظمة المستمرة من أهم ما يقلق المصري القديم، فطبيعة البيئة في مصر بما تحمله من دورات تسير في توقيتات منتظمة مرتبطة بالمواسم الزراعية، من فيضان، ثم زراعة وحصاد، فموت وجفاف، لتبدأ بعد ذلك دورة جديدة من إعادة الإحياء، كل ذلك مترابط بحركة الأجرام، قد جعل المصري القديم يدرك أهمية رصد الفلك، ما جعل الكاتب الإغريقي أفلاطون، يكتب واصفاً فخر المصريين بحضارتهم، وتمسكهم بتقاليدهم في الفنون المختلفة، وعن تقديسهم للزمن، وقدرتهم على رصد الفلك، ورسم مسار الشمس، وربط ذلك بتاريخهم. (١/ ص ٣٤٥-٣٤٧).

ولذلك نجد في أثار المصريين القدماء _ومنها التصاوير الجدارية_ من الإحكام والدقة في تنفيذها وصياغة رموزها، مايجعلها تحمل معانٍ مختلفة، مثل اللوحات الجنائزية المصورة في المقابر التي تعبر عن الأساطير، وتحمل تفسيرات عقائدية، لتضمن للمتوفي الحياة الأبدية، هذه اللوحات لا تحمل دلالات أسطورية وعقائدية فقط، بل تحمل بالإضافة لذلك دلالات فلكية، مثل طقسة التحنيط وأسطورة إعادة إحياء أوزير، وأسطورة محكمة أوزير.

(صورة١١): إنبو يقوم بطقسة تحنيط أوزير، وعلى الجانبين إيزة ونبت حوت، وهما تضعان أيديهما على علامة شن.
مقبرة سيبتاح، وادي الملوك، الأسرة١٩.

إرتبطت سوبدت أو الشعرى اليمانية في الأساطير، بالكيان المقدس إنبو، بقناع ابن آوى، الذي يمثل المجموعة النجمية المعروفة باسم الكلبية الكبرى (١٢/ ص٢٣). من خلال الأسطورة نعرف علاقة تلك الكيانات كرموز فلكية ببعضها فإنبو هو حارس إيزة الأمين، وهو إبن نبت حوت الذي أنجبته من أوزير، عندما إختلط عليه الأمر وهو مخمور فلم يفرق بين إيزة ونبت حوت. بعد ذلك تخلصت منه والدته خوفاً من ست والذي كان قد إكتشف ما حدث من زهرة البرسيم _وهو من النباتات المرتبطة بأوزير_التي تركها أوزير على سرير نبت حوت. ثم تروي الأسطورة أن إيزة علمت ما كان بينهما، فقصت إحدى ضفائرها ولبست ثوب الحداد، ثم ذهبت للبحث عن إنبو، وكانت في ذلك الوقت تبحث عن جثة أوزير واستمر ذلك ٧٠ يوماً، بعدما قتله ست حقداً بسبب ما وصل إليه من تولي للحكم، وتنظيم الزراعة وحياة الناس، فدبر له أخوه ست مؤامرة مع ٧٢ من أعوانه ونفذوها في اليوم ٢٧من شهر هاتور، حينها كان أوزير في عمر ٢٨، فوضعوه في تابوت وأغرقوه في النيل. بعد ذلك تروي الأسطورة عثور إيزة على الطفل الذي تخلصت منه نبت حوت، بعد أن دلتها الكلاب على مكانه، حينها أطلقت عليه إسم إنبو، وأصبح حارسها الأمين (٨/ ص ١٩، ٢٠).

ليصبح إنبو سيد نوبة الحراسة والتحنيط، هو المسؤول عن تحنيط جثة والده، وحمايته من مخاطر العالم الآخر بمعونة إيسة ونبت حوت، ويصور المشهد المعبر عن هذه الأسطورة، إنبو يقف أمام جثة أوزير الموضوعة على سرير التحنيط، وعلى الجانبين أختاه إيسة ونبت حوت، ويرسم السرير على هيئة لبؤة بذيل مرفوع ومقوس للأمام (٧/ ص ٤٠).

كما تصور المعبودة ماتيت في هيئة لبؤة، بذيل مرتفع ومقوس متجهاً إلى الأمام، وقد قدست في عدة مناطق أهمها الإقليم الثاني عشر من مصر العليا (٩/ ص٢٠٨، ٢١٥).

وتذكرنا العلامة التصويرية المعبرة عنها بشكل سرير التحنيط، والذي إستخدم كشعار للإقليم العشرون من مصر السفلى، وعاصمته بر سبد (٥/ ص٤٤١)، ونرى بذلك أحد الأدلة على توافق شكل تصميم الشعارات مع حركة المجموعات النجمية، فقد جعل المصري القديم من خريطة أرضه سطح لتمثيل حركة المجموعات النجمية عليه، من خلال تقسيمها لأقاليم تتوافق مع حركة نجم محدد، فحور المحنط هنا الراقد على السرير، هو سبد إبن سوبدت، ويفسر الشعار بأنه رمز للوقت الذي تشرق فيه سوبدت. في نفس وقت شروق نجم جبهة الأسد، ويكون نجم الطيار من مجموعة الصقر في مرحلة الأفول عند الأفق الغربي، وهو الممثل بصقر محنط (١٢/ ص ٢، ١٧).

أما في أسطورة محكمة أوزير، فنجد أوزير جالساً على عرشه داخل مقصورة، ممسكاً بالصولجان رمز الحكم، أمامه الميزان الذي يشرف عليه حور ويقوم جحوتي بتسجيل براءة المتوفي، لينال الخلود في العالم الآخر (١٧/ ص١٨٢).

(صورة ١٢): مشهد محكمة أوزير لوزن قلب المتوفي.
مقبرة نفر رنبت (كاتب أملاك آمون رع) طيبة، الأسرة ١٩.

يحمل المشهد هنا دلالة عن علاقة مجموعة الميزان بمجموعة الكلبية الكبرى، فعندما تكون كوكبة أخرى في السماء تأخذ شكل المثلث في مرحلة الهبوط، قد تكون هي كفة الميزان التي تحملها الأوتار مكونة شكل مثلث، تكون مجموعة الميزان في مرحلة الصعود، وتكون الكلبية الكبرى في أقصى ارتفاع، كما يصور جحوتي في هيئتيه، فيكون برأس أبو منجل ليسجل نتيجة الحكم، بينما يعتقد أن هيئته كقرد بابون يجلس على قضيب الميزان، بأنه مجموعة الجاثي النجمية (١٢/ ص ٢١،٢٢). وهكذا ندرك من خلال الفن كيف تمسك المصري القديم بفكرة إنسجامه في تفاصيل كثيرة مع الكون، فأبدع في توظيف العناصر حوله من البيئة، ووضع قوانين فنه الخاصة، التي أصبحت قوانين مقدسة لا يمكن تغييرها، ففنونه جزء من الكون في عقيدته، ولذلك أصبح للصورة قوة سحرية لها تأثير في حياته، فانتظام سير الكون هو انتظام لحياته، بالإضافة لبعثه من جديد، لذلك إستمرت السمات الفنية ثابتة على مدى التاريخ الطويل لمصر القديمة (٣/ ص ٣٩، ٤١).

وبذلك يكون البحث وماقدم خلاله، عبارة عن عرض نماذج من التصاوير الجدارية المختلفة من مقابر الدولة الحديثة، توضح ما كان لرصد الفلك من دور مهم ترابط مع العقيدة، وأكسب الفن المصري طابعه المميز، حتى عندما حدث تغيير في زمن إخناتون، عندما وحد التقديس وجعله خاص بالشمس فقط، فقد ظل القلق من حدوث ما يعيق المسير المنتظم للأجرام على مدى تاريخ المصري القديم، فلم تكن الطبيعة عند المصري القديم بظواهرها، مجرد حوادث يحاول تجنب أثرها بطرق سحرية بل كانت تتجسد ككيانات مقدسة في عقيدته، وكان إنتظام سيرها هو الضمان لإنتظام مواسمه الزراعية وإستمرار حضارته.

النتائج:

آمن المصري القديم بتأثير الفلك، فراقب حركة الأجرام، وفسر حركتها من خلال الأساطير وصاغها في تكوينات تشكيلية تحوي العديد من الرموز والعلامات التصويرية التي تعبر عن أحداث معينة، وعبرت هذه الرموز عن الظواهر الكونية سواء إيجابية أو سلبية، لأنه آمن بأن إعادة الحياة وتجدد دورتها يلزمه موت وتحلل في البداية، وجسد هذه الأجرام والظواهر في شكل كيانات مقدسة، فأصبح فنه فن مقدس معبر عن الكون.

كما كان كل كيان مقدس يحمل معانٍ مختلفة لوصف التاثيرات المختلفة لظاهرة معينة حسب المواقيت المختلفة مثل أوزير أو الجبار الذي يرمز للفيضان والخضرة، ويرمز كذلك للموت في المقابل. أوسخمت التي تصيب الأرض بالجفاف والأوبئة، ولكن بما لها من قوة فهي الحماية لرع ضد أعدائه، وهي كذلك التي تهدأ في شكل باستت لتبدأ دورة حياة جديدة.

وبما أن كل كيان مقدس يحمل دلالات مختلفة، تعبر عن مواقيت مختلفة، فلذلك تعددت الرموز لوصف مراحل تلك المواقيت بدقة مثل تعدد الرموز المتعلق برب الشمس رع، لوصف دورة الشمس سواء اليومية أو السنوية، أو علاقة التوقيت الشمسي بالتوقيت الخاص بالشعرى اليمانية.

وقد يستخدم رمز معين في موضوعات مختلفة عن بعضها، مثل العلامة التصويرية للربة ماتت. وبذلك تتضح العلاقة المترابطة بين العقيدة والفن وعلم الفلك، بالإضافة للمرونة التي أبدعها المصري القديم في صياغة الرمز وتوظيفها في تلك الموضوعات التي يحمل كلاً منها تعبير مختلف ولكن تشترك جميعها في كونها ذات أساس فلكي، فالربة ماتت، وسرير التحنيط، وشعار أحد الأقاليم، ثلاث موضوعات مختلفة تبدو بعيدة عن بعضها، ولكن فهم العقيدة المصرية القديمة المرتبط بالكون يجعلنا ندرك أن تلك العناصر جميعها تتعلق بالكون، وهم جيعاً يحملون نفس الرمز الذي يتكيف مع موضوع الصورة.

وبذلك يكون فهم الفلك في مصر القديمة ضرورة لإدراك الفن، فلم يكن الفن صوراً متكررة تكتظ بها جدران المقابر المغلقة، بل كان إيماناً منه بدور الأجرام وتأثيرها, وإيصاله للخلود، وتجسيد لما وصل إليه المصري القديم من علوم في مجال الفلك تطلبت ملاحظات دقيقة على مدى تاريخ طويل ثم تكوين صورة قوية التركيب متوازنة العناصر تحمل رموزها دلالات مختلفة يمكن تفسيرها من جهة عقائدية أو فلكية، فمن خلال التصاوير الجنائزية الجدارية في المقابر، التي تحمل هدف عقائدي مرتبط بالأساطير، نجد في تحليله بالإضافة إلى ذلك، علاقة بالمعارف الفلكية في مصر القديمة.

المراجع العربية:

١) أسمان، يان (٢٠١٧). الموت والعالم الآخر في مصر القديمة، ج٢، ترجمة: محمود محمد قاسم، مراجعة: هليل غالي. القاهرة: المركز القومي للترجمة.

1) 'asman, yan (2017). almawt walhayaat alakhirat fi misr alqadimatu, aljuz' althaani, tarjamatu: mahmud muhamad qasimi, murajaeati: khalil ghali. alqahirati: almarkaz alqawmia liltarjamati.

٢) بريستد،جيمس هنري (١٩٩٩). فجر الضمير، ترجمة: سليم حسن. القاهرة: الهيئة العامة للكتاب.

2) sadr, jims hinri (1999). fajr aldamir, tarjamatu: salim hasan. alqahirati: alhayyat aleamat lilkitabi.

٣) بليك، وليم (٢٠١٧). فن الرسم عند قدماء المصريين، ترجمة: مختار السويفي، مراجعة: أحمد قدري. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

3) blik, wilyam (2017). fanu alrasm eind qudama' almisriiyna, tarjamatu: mukhtar alsuwifi, murajaeata: 'ahmad qadri. alqahirati: alhayya alkitaab almisriu aleamu.

٤) الجمال، خلود. وزيري، أيمن. السيد، محمد (سبتمبر ٢٠١٧). المخاطر وسبل النجاة خلال أيام النسئ الخمسة في مصر القديمة حتى نهاية العصرين اليوناني والروماني. جامعة الفيوم، كلية الأثار، المجلة الدولية للتراث والسياحة والضيافة، مجلد ١١، العدد ٢، ص ١٦٩- ١٨٤.

4)aljamal walkhuludu. waziri, 'ayman. alsayidu, muhamad (sibtambar 2017). makhatir waturuq alnajaat khilal al'ayaam alnabawiat alkhamsat fi misr alqadimat hataa nihayat aleasrayn alyunanii walruwmani. jamieat alfiumi, kuliyat aluathar, almajalat alduwaliat lilturath walsiyahat waldiyafati, almujalad 11, aleadad 2, s 169-184.

٥) حسن، سليم (٢٠٠٠). موسوعة مصر القديمة، ج١. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

5) hasan, salim (2000). mawsueat misr alqadimatu, aljuz' al'awala. alqahirati: alhayyat almisriat aleamat lilkitabi.

٦) الشايب، منى زهير (٢٠٠٨). المناظر الفلكية في المقابر الملكية حتى نهاية عصر الدولة الحديثة. جامعة القاهرة: كلية الأثار (دكتوراه).

6) alshaayib, munaa zuhayr (2008). manazir falakiat fi almaqabir almalakiat hataa nihayat aldawlat alhadithati. jamieat alqahirati: kuliyat aluathar (dukturah).

٧) شديد، عبد الغفار (٢٠١٥). مقبرة الفنان سندجم- الأسرة ١٩بدير المدينة، ترجمة: عبد الغفار شديد، مراجعة: هليل غالي، تقديم: زاهي حواس، مساعدة: أناليزا فرتل. القاهرة: المركز القومي للترجمة.

7) shadidi, eabd alghafaar (2015). maqbarat alfanaan sinjam - al'usrat 19 bidir almadinati, tarjamatu: eabd alghafar shadid, murajaeatu: khalil ghali, taqdimu: zahi hawasi, musaeadati: 'analiza firtil. alqahiratu: almarkaz alqawmia liltarjamati.

٨) الصيفي، شريف (٢٠٢٠). التراث الجنائزي لمصر القديمة- الخروج للنهار- كتاب الموتى. القاهرة: تنمية.

8) alsiyfi, sharif (2020). alturath aljanayiziu limisr alqadimat - alkhuruj fi alnahar - kitab almawtaa. alqahirati: altanmiatu.

٩) عبد الحميد، عبد الله عبد الرازق (فبراير ٢٠١٦). المعبودة ماتت ودورها في العقيدة المصرية. مجلة الإتحاد العام للاثاريين العرب، مجلد ١٧، عدد ١، ص ٢٠٨- ٢٤٤

9) eabd alhamidi, eabd allah eabd alrazaaq (fbrayir 2016). matat al'iilahat wadawruha fi aleaqidat almisriati. majalat alaitihad aleami lilathariin alearabi, almujalad 17, aleadad 1, s 208-244

١٠) فرانشي، ماسيميليانو (٢٠١٥). الفلك في مصر القديمة، ترجمة: فاطمة فوزي، مراجعة: علاء شاهين، أنس إبراهيم. القاهرة: المركز القومي للترجمة.

10) franshi, masimilyanu (2015). ealm alfalak fi misr alqadimatu, tarjamatu: fatimat fuzi, murajaeatu: eala' shahin, 'anas 'iibrahim. alqahirati: almarkaz alqawmii liltarjamati.

١١) هورنونج، إريك (٢٠٠٢). وادي الملوك- أفق الأبدية- العالم الآخر لدى قدماء المصريين، ط٢. ترجمة:العزب موسى، مراجعة: محمود ماهر طه القاهرة: مكتبة مدبولي.

11) hurnunji, 'iirik (2002). wadi almuluk - 'ufuq alkhulud - alealam alakhar eind qudama' almisriiyna, altabeat althaaniatu. tarjamatu: aleazb musaa, murajaeata: mahmud mahir tah, alqahirati: maktabat madbuli.

المراجع الأجنبية:

12) Berio, Alessandro (2014). https://www.academia.edu The celestial River- identifying Ancient Egyptian constellation. university Pennsylvania. USA.
13) Elshayeb, Mona Zoheir (December 2021). Agreat cosmic phenomena in the heritage of the Ancient Egyptians. BSU international journal of humanities and social science. volume 3, issue2. P 9-30.
14) Gros de Beler, Aude (2002). Egyptian mythology, foreword: Aly Maher Elsayed. New York, TODTRI Book.
15) Lull, Jose. Belmonte, Juan Antonio (2009). https://www.iac.es: The Constellation of Ancient Egypt. Autonomous University of Barcelona.
16) Priskin, Gyula (2019). http://www.enim-egyptologie The constellations of the Egyptian Astronomical diagram. University Of Szeged.
17) Robins,Gay (2008). The art of Ancient Egypt. Cairo, American University.
18) Soliman, Rasha Goddess Nut and the milky way (2012). https://www.academia.edul37467140/Goddess_Nut_andthe_Milky_Way Misr University for Sciences and Technology, Faculty of Archaeology and Tourism Guidance.
19) Tripani, Luigi (2021). Egyptian religious calendar_ CDXXII- CDXXIII great year of Ra(2022CE). Torrazza Piemonte, Italy.